

خاتمة

obeyikan.com

الخاتمة

كان الهدف من هذا البحث هو إثراء "سقط الزند" وإذكاء ناره ، وإحياء الروح الإنسانية التي تقبع فيه بعد أن خبت جذوتها ، وانطفأت شعلتها ، وطال اغترابها ، وذلك من خلال قراءة لغته قراءة لا تتأسس على النقص والسذاجة ، وتسعى إلى الكشف عن الرؤية العلائقية في هذا الديوان ، وخصوصية أعماقها ، وجمالياتها التي تشكل أبعاد لغة الشعر .

وربما تعذر على الباحث أن يرصد ما توصل إليه من نتائج ، فلعل البحث كله نتيجة قراءة ويبحث في سقط الزند ، مما يعني أن البحث ذاته هو النتيجة . ولكن أشير موجزاً إلى أن الفصل الأول كان محاولة أسفرت عن بلورة أهم أبعاد لغة الشعر ، على الأقل في ذهن الباحث وخلفيته المعرفية ، كذلك أسفر المبحث الثاني عن حقيقة علاقة أبي العلاء بلغة الشعر، بما لا يدع مجالاً للشك في قدرة أبي العلاء الفذة على التعامل مع اللغة والخيال والفن . كما أسفر المبحث الثالث عن أن أبا العلاء لم يعتزل الناس والحياة ، وإنما شقي بهوموم الإنسان وآماله ، وحاول التخلص من القيد والعجز الإنسانيين .

وقد كشفت الفصول الثلاثة التالية عن حقيقة أساسية في الرؤية العلائقية هي استيعاب أبي العلاء وفهمه العميق لتراث أسلافه من الشعراء ، فقد كان أبو العلاء ابناً شرعياً لثقافته العربية ، وإن اتسم نتاجه بخصوصية علائقية فهذا أمر طبيعي كما كشفت تلك الفصول عن عمق الرؤية العلائقية وخصوبتها وتعدد أبعادها ، وذلك من خلال الاقتراب الحميم من نصوص السقط وما يموج بها من قلق وتوتر وصراع ، ولذا كانت المفارقة إحدى أهم سمات تلك الرؤية الشعرية العلائقية . فقد كانت الرؤية العلائقية في سقط الزند تقوم على المفارقة ؛ إذ كانت المفارقة ، أو التفكير من خلال التناقض أمارة الوعي بأزمة الوجود الإنساني ؛ من ثم كانت المفارقة مدخلاً صالحاً للكشف عن جوهر الرؤية العلائقية ، من خلال تتبع حركة الدلالة ومساراتها العميقة .

ولعل الفصل الثالث قد خلص إلى نتيجة مفادها أن الرؤية العلائقية في السقط تتمركز حول النموذج الذي عكف أبو العلاء على تأمله واستكشافه ، وأن الرحلة إليه دائماً ما كانت رحلة إلى الأعماق ، وبجثاً عن الحقيقة ، فقد كان النموذج العلائقي مناط تساؤلات إنسانية عميقة ، تضرب بجذورها في أعماق الوجود الإنساني ، كان النموذج يشكل رغبة الإنسان في الخلاص من القيد والعجز كان يجسد حلماً ورغبة بعيدة المنال . يجفل السقط بجرعة عقل متوثب ، لم يكف عن مساءلة الوجود الإنساني ، والقلق بشأنه ، كان أبو العلاء بعد ذلك وعلى الرغم مما يبدو من اليأس والقنوط وفيماً للحياة ، وشقياً بها ، إذ لم يجدها كما حلم بها . وإنما وجد أمرها أدباً .

وكذلك خلص المبحث الثاني من الفصل الثالث إلى أن الدرعيات تشكل سمة بارزة من سمات الرؤية العلائقية وبنية رمزية مكتملة . وقد انطوت على صراع نفسي عميق ، وقد حاولت أن تكشف عن الموقف الذي تنطلق منه ، فوجدته متواصلاً في العمق مع السقط ، فالدرعيات محاولة استنفدت رمز الدرع في التراث ولكنها أمدته كذلك بسياق وحياء جديدين ، وقد اجتهدت في قراءة الدرعيات ، وإن شط اجتهادي ، فعذري أن أحداً قبلي لم يقدم قراءة لها . أو أنني لم أعرف - على حد علمي - من قرأها .

أما الفصل الرابع فقد أسفر عن عدة نتائج منها ثراء لغة أبي العلاء وخصوبتها فقد حفل السقط بمظاهر جمالية كثيرة ، أهم ما يميزها هو التحامها بينية العمق ؛ فالنسيج الصوتي للغة الشعر في سقط الزند يمتاز بجمالية عالية بما يكشف عن شاعرية أبي العلاء ويؤكد تمكنه من أدواته الفنية ، فهو شاعر صنع .

ويعبد ..

فهذا عمل متواضع قصدت به الكشف ، قدر استطاعتي ، عن أعماق لغة الشعر في سقط الزند ، فإن كنت قد هديت إلى بعض ما أصبو إليه فهو حسي ، وحسي من أبي العلاء رفقتة .